الأمير بهاء الدين قراقوش
ودوره في تثبيت أركان حكم السلطان
صلاح الدين الأيوبي

(٥٠٩-٥٩٧هـ/١١١٦-١٢٠١م)

د. غسان محمود وشاح/ رئيس قسم التاريخ والآثار في الجامعة الإسلامية بغزة

د. جمال أحمد أبو ريدة /باحث في التاريخ الإسلامي

الأمير بهاء الدين قراقوش
ودوره في تثبيت أركان حكم السلطان صلاح الدين الأيوبي
(٥٠٩-٥٩٧هـ/١١١٦-١٢٠١م)

د. غسان محمود وشاح

د. جمال أحمد أبو ريدة

ملخص البحث باللغة العربية:

لقد استند حكم السلطان صلاح الدين لمصر على مجموعة من الأمراء الكبار، منهم الأمير بهاء الدين قراقوش، الذي تولى هو والأمير عيسى الهكاري دورًا مميزًا في تنصيب السلطان صلاح الدين وزيرًا على مصر، خلفًا لعمه أسد الدين شيركوه، على الرغم من أن السلطان لم يبلغ من العمر سوى اثنين وثلاثين عامًا، وحفظ السلطان الجميل للأمير قراقوش، حيث أسند إليه في بداية حكمه لمصر مهمة إدارة القصر الفاطمي، الذي كان مصدر إزعاج للسلطان، ولم يوافق أركان القصر على تعيين السلطان في الوزارة، وقد استطاع قراقوش إدارة القصر بحنكة واقتدار، والتخلص من هذه الحاشية بهدوء تام.

ولعل هذا النجاح للأمير قراقوش في مهمته الأولى، هو الذي شجع السلطان بعد ذلك لإسناد المزيد من المهمات الأخرى له، ولعل مهمة بناء قلعة الجبل كانت أولى المهام التي أعقبت نجاحه في القضاء على أركان الحكم الفاطمي في مصر، وتبع تنفيذ هذه المهمة بنجاح، نقل الأمير إلى مدينة عكا لحمايتها من الحملات الصليبية، ولقد نجح الأمير في حماية المدينة من الحملة

الصليبية الثالثة، ولكن طول الحصار الصليبي الذي تعرضت له المدينة، والقصف المتواصل لها بالمنجنيقات، قد أجبر المحاصَرِين في المدينة على طلب الصلح، وتسليم المدينة، حقنا لدماء المحاصَرِين في المدينة.

Abstract:

This study discussed The reign of Sultan Saladin depended on a group of great princes, such as Prince Baha Al-Din Qaraqush and Sultan Issa al-Hakkari who played a special rule in the inauguration of Sultan Salah Al-Din to be the Egypt's successor after his uncle Assad Al-Din Shirkuh. Sultan Salah Al-Din was just 32 years old. At the beginning of his reign, he entrusted prince Qaraqush with the task of administering the Fatimid palace, which was a source of inconvenience to the Sultan. The people of the palace were not satisfied with the Sultan's appointment in the ministry. Sultan Qaraqush was able to manage the palace successfully and terminating this footnote very calmly.

Perhaps this success of prince Qaraqush in his first mission encouraged the Sultan to assign more missions to him. The task of building the mountain castle was the first task after his success in eliminating the Fatimid rule in Egypt. The Prince moved to Acre to protect the city from the Crusades. But the long Crusader's siege that besieged the city and the continued bombardment of the city forced prince Qaraqosh to seek reconciliation and deliver the city to save the people trapped in the city.

الكلمات المفتاحية: (قراقوش، السلطان صلاح الدين، العاضد، قلعة الجبل، عكا، ابن مماتي).

Keywords: (Qaraqush, Sultan Salah Al-Din, Aleadid, The mountain castle, Acre, Eben Mamati).

مقدّمة:

حظي الأمير بهاء الدين قراقوش، باهتمام المؤرخين المسلمين الذين تناولوا سيرته بشيء من التفصيل، حيث تناولوا الأدوار الصعبة التي لعبها الأمير في تثبيت أركان حكم السلطان صلاح الدين في الوزارة بمصر زمن الخليفة الفاطمي العاضد، وكيف تغلب على المعارضة الشديدة لتنصيب السلطان في هذا المنصب؟ سواء من قبل الأمراء النورية الذين جاءوا معه إلى مصر صحبة عمه أسد الدين شيركوه، أو من قبل بقايا أركان الحكم الفاطمي، الذين حاولوا الثورة على السلطان، والإطاحة به من الحكم بالقوة المسلحة.

ولقد استخدم الأمير قراقوش دقيق الحيلة، في إقناع الأمراء المعارضين لتنصيب السلطان صلاح الدين في منصب الوزارة، ونجح في هذه المهمة باقتدار عظيم، وبعد الانتهاء من هذه المهمة بنجاح، تولى مهمة التخلص من بقايا أركان الحكم الفاطمي، بعد السيطرة على قصر العاضد، والقضاء على المعارضين للسلطان صلاح الدين، حتى استتب الأمر للسلطان بدون منازع.

ولم ينتهِ دور الأمير قراقوش بعد تثبيت أركان السلطان صلاح الدين في الحكم، بل واصل الأمير تنفيذ أوامر السلطان صلاح الدين أولًا بأول، والتي بدأها ببناء قلعة الجبل كمقر رئيس للجيش الأيوبي، ولأركان الحكم، وقد ظلت

القلعة بعد السلطان صلاح الدين إلى منتصف القرن العشرين، مقرًا للسلاطين والملوك الأيوبيين، والمماليك، والعثمانيين، الذين حكموا مصر وبلاد الشام.

وانتقل الأمير بهاء الدين قراقوش بعد الانتهاء من عملية بناء القلعة، وبأمر من السلطان صلاح الدين إلى مدينة عكا شمال فلسطين؛ لتحصين أسوارها، ودعم قلاعها، لمواجهة الغزو الصليبي للمدينة، حيث قاوم الأمير بهاء الدين قراقوش الحملة الصليبية الثالثة، على الرغم من الحصار الطويل التي تعرضت له المدينة، والجوع والعطش الذي تعرض له السكان المحاصَرُون داخل أسوار المدينة.

ولقد وقع الأمير قراقوش وهو يدافع عن مدينة عكا أسيرًا لدى الصليبيين، إلى أن افتكه السلطان صلاح الدين، اعترافًا من السلطان بجميل الصنيع الذي قدمه الأمير، ولدوره في الدفاع عن مدينة عكا في وجه الحملة الصليبية الثالثة، وظل الأمير على ولائه الكامل للسلطان صلاح الدين، ولولديْه العزيز وعلي من بعده، إلى أن توفي عن عمر يناهز ثمان وثمانين سنة، قضى منها ما يقرب من ثلاثين عامًا في خدمة البيت الأيوبي.

أ- مشكلة البحث:

لمع اسم الأمير بهاء الدين قراقوش كواحد من الأمراء الثلاث الكبار (الفقيه عيسى الهكاري، القاضي الفاضل)، الذين لعبوا دورًا مهمًا في تثبيت أركان حكم السلطان صلاح الدين في مصر وبلاد الشام، وعليه من الضروري طرح مشكلة البحث، من خلال السؤال التالي:

ما الذي ميز الأمير بهاء الدين قراقوش عن غيره من الأمراء الأيوبيين الكبار، الذين استند إليهم السلطان صلاح الدين طوال فترة حكمه لمصر وبلاد الشام؟

ويتفرع من هذا السؤال الرئيس، مجموعة من الأسئلة الفرعية الآتية، وهي؟

أ. متى بدأت العلاقة بين الأمير بهاء الدين قراقوش والأسرة الأيوبية؟

ب.ما الأدوار المهمة التي قام بها الأمير بهاء الدين قراقوش في تثبيت أركان حكم السلطان صلاح الدين في مصر، بعد وفاة عمه أسد الدين شيركوه؟

ت.ما قيمة الأعمال العظيمة التي تركها الأمير بهاء الدين قراقوش، في تخليد ذكراه؟

ث.ما صحة ما نسبه الأسعد بن مماتي، بحق الأمير بهاء الدين قراقوش؟

ب. أهمية البحث:

تكمن أهمية البحث، والموسوم بـ" الأمير بهاء الدين قراقوش ودوره في تثبيت أركان حكم السلطان صلاح الدين الأيوبي في مصر"، إلى الأسباب التالية:

١- تسليط الضوء على شخصية الأمير بهاء الدين قراقوش، كأحد الشخصيات الثلاث التي ارتكز عليها السلطان صلاح الدين في تثبيت أركان حكمه في مصر وبلاد الشام، والقضاء على معارضيه.

٢- معرفة المهمات الصعبة التي أسندها السلطان صلاح الدين للأمير بهاء الدين قراقوش دون غيره من الأمراء الكبار من حوله.

٣- مدى نجاح الأمير قراقوش في إنجار المهمات الصعبة التي أسندها إليه السلطان صلاح الدين الأيوبي.

ت. الأهداف:

تتلخص الأهداف التي دفعت الباحثين لاختيار هذا الموضوع دون غيره من المواضيع الأخرى، هو ما يأتي:

١- معرفة الأصول التاريخية التي يعود إليها الأمير بهاء الدين قراقوش.

٢- معرفة توقيت العلاقة التي ربطت الأمير بهاء الدين قراقوش بالأسرة الأيوبية.

٣- التعرف على الصفات القيادية التي تميز بها الأمير بهاء الدين قراقوش، وكانت سببًا في تقلده أرفع المناصب فترة حكم السلطان صلاح الدين.

٤- معرفة مدى صحة الاتهامات التي ألصقها البعض بالأمير بهاء الدين قراقوش.

٥- الوقوف على الأدوار المختلفة التي قام بها الأمير بهاء الدين قراقوش في خدمة الأسرة الأيوبية، وعلى وجه الخصوص في خدمة السلطان صلاح الدين الأيوبي.

٦- معرفة الأعمال العظيمة التي قام بها الأمير بهاء الدين قراقوش فترة عمله إلى جانب السلطان صلاح الدين الأيوبي، وخلدت اسمه في كتب التاريخ.

ج.منهج البحث:

١- اعتمد الباحثان على المنهج التاريخي في إعداد الورقة البحثية، وهو المنهج الذي يقوم على الاطلاع على المصادر التاريخية الأولى التي وثقت أدق التفاصيل عن حياة الأمير بهاء الدين قراقوش.

٢- ينسب الباحثان الأقوال لأصحابها من المؤرخين دون زيادة أو نقصان، وذلك لدقة المعلومات التي قدمها المؤرخون عن حياة الأمير بهاء الدين قراقوش.

٣- يضع الباحثان ما نقله بين علامتي تنصيص، وذلك للتفريق بين ما نقل نصًا، وما نقل بتصرف، وما نقل بالمعنى يذكر في الحاشية.

لقد اشتملت الدراسة على مقدمة ، ومبحثين ، وخاتمة، على النحو الآتي:

أولًا: المقدمة: وتشمل على مشكلة البحث، وأهمية البحث، والأهداف، ومنهج البحث.

ثانيًا: خطة البحث: وتشمل على مبحثين اثنين، وهي:

المبحث الأول: شخصية الأمير بهاء الدين قراقوش.

المبحث الثاني: الأمير بهاء الدين قراقوش وبناء قلعة الجبل والدفاع عن مدينة عكا.

ثالثًا: الخاتمة، وتتضمن أهم النتائج، والتوصيات.

المبحث الأول

تعريف بالأمير بهاء الدين قراقوش

من الأهمية بمكان التعرف على شخصية الأمير بهاء الدين قراقوش، والأصول التي يعود إليها الأمير المذكور، وذلك للاستفادة منها لاحقًا في التعرف على قيمة الأدوار التي لعبها الأمير في تثبيت أركان نظام حكم السلطان صلاح الدين في مصر وبلاد الشام، رغم المعارضة القوية التي

تعرض لها السلطان من الداخل، وخصوصًا من بقايا الحكم الفاطمي، أو من الخارج، وعلى وجه الخصوص من صليبيي الشام.

أولًا: شخصية الأمير بهاء الدين قراقوش:

كان بهاء الدين قراقوش عبدًا روميًا، فرَّ من إحدى قرى آسيا الوسطى، وانتقل من بلد إلى بلد، حتى وصل إلى بلاد الشام، ثم التحق في خدمة أسد الدين شيركوه (ت:٥٦٧هـ/١١٧١م)، الذي توسم فيه النجّابة، والشجاعة، فقرَّبه من نفسه، وطفق يدربه على أعمال الفروسية، وينمّي فيه المواهب الحربية، وتَسَمَّى في دمشق باسم بهاء الدين بن عبد الله الأسدي، ووُصِف بالأسدي نسبة إلى أسد الدين شيركوه عم السلطان صلاح الدين الأيوبي، الذي اشتراه وقام على تهذيبه وتعليمه، وكان سببًا في اعتناقه الإسلام[١].

وقد جاء ابن خلكان على ذكر الأصول التاريخية التي يعود إليها الأمير بهاء الدين قراقوش بالقول:" أبو سعيد قراقوش بن عبد الله الأسدي الملقب بهاء الدين، كان خادم صلاح الدين، وقيل خادم أسد الدين شيركوه عم السلطان صلاح الدين فأعتقه، ولما استقل صلاح الدين بالديار المصرية جعله زمام[٢] القصر، ثم ناب عنه مدة بالديار المصرية، وفوض أمورها إليه، واعتمد في تدبير أحوالها عليه، وكان رجلًا مسعودًا وصاحب همة عالية، وهو الذي بنى السور المحيط بالقاهرة ومصر وما بينهما، وبنى قلعة الجبل، وبنى القناطر التي بالجيزة على طريق الأهرام، وهي آثار دالة على علو الهمة، وعَمَّرَ بالمقس[٣] رباطًا، وعلى باب الفتوح بظاهر القاهرة خان سبيل، وله وقف كثير لا يعرف مصرفه، وكان حسن المقاصد جميل النية"[٤].

وأضاف ابن الأثير إلى ما قاله ابن خلكان، بقوله:" وهو خصي أبيض، كان من أعيان الأمراء الأسدية"[٥]، ويصفه ابن شداد بقوله:" وكان رجلًا عاقلًا"[٦]، في حين ذكره أبو شامة فيما ذكره، بقوله:" وهو تركي"[٧].

وقراقوش بفتح القاف والراء، وبعد الألف قاف ثانية ثم واو، وبعدها شين معجمة، وهو لفظ تركي تفسيره بالعربي العقاب الطائر المعروف، وبه سمي الإنسان، والله أعلم[٨].

ويستدل مما سبق أن المنطقة العربية كانت وجهة المماليك الصغار والكبار على حدٍ سواء، والذين جاءوا طلبًا للأمن والأمان والاستقرار، بعدما عصفت الحروب الطاحنة بآسيا الوسطى، وقد التحق هؤلاء المماليك بالجيوش الإسلامية، التي كانت بحاجة إليهم في فتوحاتها، وحروبها الداخلية، وخصوصًا أن البعض منهم كان من خيرة الفرسان، وأبلوا هؤلاء المماليك فيها بلاءً حسنًا، وقد استطاع المماليك بعد قرون طويلة من الخدمة العسكرية في جيوش المنطقة العربية، حكم المنطقة العربية نفسها، وكانت القاهرة عاصمة الدولة الأيوبية، لما يزيد عن قرنين ونصف القرن.

ثانيًا: الأسعد بن مماتي والطعن في شخصية بهاء الدين قراقوش:

ينسب الوزير الأسعد بن مماتي[٩]، **(٥٤٤ -٦٠٦هـ/١١٤٩-١٢٠٩م)**، أحكامًا عجيبة صادرة عن الأمير بهاء الدين قراقوش، في ولايته، وله جزء لطيف سماه (الفاشوش في أحكام قراقوش)، وفيه أشياء يبعد وقوع مثلها من الأمير بهاء الدين قراقوش، والظاهر أنها موضوعة، فإن صلاح الدين كان معتمدًا في أحوال المملكة عليه، ولولا وثوقه بمعرفته وكفايته ما فوضها إليه"[١٠].

ولقد أوضح ابن مماتي الدوافع وراء كتابته للفاشوش، وهو:" لما رأيت عقل بهاء الدين قراقوش محزمة (ما يجزم به)، فاشوش (الأحمق)، قد أتلف الأمة، والله يكشف عنهم كل غمة، لا يقتدي بعالم، ولا يعرف المظلوم من الظالم، والشكية عنده لمن سبق، ولا يهتدي لمن صدق، ولا يقدر أحد من عظم منزلته، على أن يرد على كلمته، ويشتاط أشتياط الشيطان، ويحكم حكمًا ما أنزل به من سلطان، صنفت هذا الكتاب لصلاح الدين، عسى أن يريح منه المسلمين"[(١١)].

ولقد جاء الكتاب بأسلوب ساخر ممزوج بالنادرة، بدا خلاله قراقوش شخصية قلقة أحمق التفكير، مغفل الطباع، متناقض الأقوال، ومضحكًا في أفعاله، ومما جاء من الحكايات الساخرة:" قيل إن امرأة أتت بولدها إلى قراقوش فقالت: يا سيدي بهاء الدين إنَّ ولدي يشتمني، فأمر بحبسه سنة، فلم تذق أمه تلك الليلة طعم النوم، فلما أصبحت راحت إلى السجانين وقالت: ما الحيلة في خلاص ولدي من هذا الحبس؟ فقالوا لها: هاتي حلاوتنا ونعرّفك ماذا تفعلين وتقولين للأمير بهاء الدين قراقوش، فدفعت اليهم النقود، وقالوا لها: اذهبي الآن إلى الأمير وقولي له: يا سيدي أنا امرأة حبست لي ولدي سنة كاملة، وقد انقضت السنة، فأخرج لي ولدي من الحبس، فأتت المرأة إلى الأمير قراقوش، فقالت له ذلك، فقال لها: اذهبي الآن، فلا جدال في أنه قد بقي له من السنة سبعة أيام سوى أمس وغد، فمضت المرأة وأعلمت السجانين، فقالوا لها: هذه نعمة، فإذا كان الغد فروحي إليه، وقولي له: انقضت سبعة الأيام! فأصبحت المرأة وجاءت إلى قراقوش، فلما نظر إليها قال: يا مرأة حتى تغرب الشمس! يا

غلام: إذا غربت الشمس! فأطلق لها ولدها من الحبس، ولا ترجعي تجيبيه، أو يحبسوه سنتين!"[١٢].

ويذكر المؤرخ علي الصلابي الهدف من كتاب ابن مماتي بقوله:" إنَّ هدف كتاب الفاشوش في حكم قراقوش، وهو هز الثقة في الأمير بهاء الدين، وهو من قادة صلاح الدين البارزين، ومساعديه الأمناء، الذين استعان بهم في الملمات، وبالتالي تأليب الناس وتحريضهم على الدولة الأيوبية"[١٣].

ويأتي علي الطنطاوي على ذكر الأمير بهاء الدين قراقوش في كتابه رجال من التاريخ، ويرد على ما ذكره ابن مماتي بقوله:" لقد أساء المتنبي إلى كافور، فألبسه وجهًا غير وجهه الحقيقي، وأساء ابن مماتي إلى قراقوش، فألبسه وجهًا غير وجهه الحقيقي"[١٤].

ولقد وصف الصليبيون شخصية بهاء الدين قراقوش، بالقول:" كانت شخصية بهاء الدين قراقوش شخصية محاربة، روحها غريبة، كثيرًا ما أدهشتهم وأثارت إعجابهم، لما تحمله من مهارة، وقدرة وجلد وعزيمة، حتى أنهم نظروا إليه على أنه جندي وقديس في آن واحد"[١٥].

ويستدل مما سبق أن شخصية الأمير بهاء الدين قراقوش، أبعد ما تكون عما وصفه ابن مماتي، ولعل الشهرة التي نالها كتابه " الفاشوش"، كانت بسبب مهارة ابن مماتي اللغوية، وتقديمه للكتاب في صورة قصص قصيرة باللغة العامية، يغلب عليها طابع الفكاهة، التي التقت مع سخط البعض على حكم الدولة الأيوبية.

ثالثًا: بهاء الدين قراقوش وتثبيت السلطان صلاح الدين في الحكم:

لما توفي أسد الدين شيركوه اتفق كبار الأمراء الأسدية، وهما: الفقيه عيسى الهكاري[١٦]، والطواشي[١٧] بهاء الدين قراقوش على ترتيب السلطان صلاح الدين في الوزارة، ودققا الحيلة في ذلك، حتى بلغا المقصود، وهو ما جاء على ذكره ابن العديم بقوله: " وكان جماعة من الأمراء الذين كانوا مع أسد الدين قد تطاولوا إلى الوزارة، منهم: عين الدولة بن ياروق، وسيف الدين المشطوب، وشهاب الدين محمود الحارمي خال السلطان صلاح الدين، وقطب الدين ينال بن حسان، فأرسل العاضد[١٨] إلى صلاح الدين، وأحضره عنده، وولاه الوزارة بعد عمه، وخلع عليه، ولقبه بالملك الناصر، فاستتبت أحواله، وبذل المال، وتاب عن شرب الخمر، وأخذ في الجد والتشمير في أموره كلها، وكان الفقيه عيسى الهكاري معه، فأقنع الأمراء الذين كانوا قد طمعوا بالوزارة إلى الانقياد إليه، فأجابوا سوى عين الدولة بن ياروق، فإنه امتنع، وعاد إلى نور الدين إلى الشام[١٩].

ويختلف المؤرخون حول تاريخ ابتداء الدولة الأيوبية، فالبعض يجعله منذ تولي صلاح الدين الأيوبي الوزارة من الخليفة العاضد لدين الله سنة(٥٦٤هـ/١١٦٩م)[٢٠]، والبعض الآخر يجعله مع إعادة الخطبة في مصر للخليفة العباسي التي تلاها وفاة العاضد لدين الله وانتهاء الخلافة الفاطمية(٥٦٧هـ/.١١٧١م)، صحيح أن سلطة صلاح الدين بدأت منذ توليه الوزارة، ليدعمها بخطوة القضاء على الدولة الفاطمية، لكنه من الناحية الشرعية كان لا يزال تابعًا لسلطة نورد الدين محمود الذي ما لبث أن توفي سنة (٥٦٩هـ/١١٧٤م)، ولذلك فإن سنة الوفاة هذه هي برأينا تاريخ ابتداء الدولة

الأيوبية التي اعترف بها الخليفة العباسي المستضيئ بالله سنة ٥٧٠هـ/ ١١٧٥م)[٢١].

رابعًا: بهاء الدين قراقوش وتولي أمر قصر الخليفة العاضد:

استعمل السلطان صلاح الدين الأمير بهاء الدين قراقوش على قصر الخليفة العاضد، وذلك بعدما قتل السلطان مؤتمن الخلافة (٥٦٤هـ/١١٦٩م)[٢٢]، وعزل جميع الخدم الذين يتولون أمر قصر الخلافة، وهو ما جاء على ذكره ابن الأثير بقوله:" واستعمل على الجميع بهاء الدين قراقوش، وهو خصي أبيض، وكان لا يجري في القصر صغير ولا كبير إلا بأمره"[٢٣]، وأكد أبو شامة ما ذكره ابن الأثير بالقول:" ولما توفي العاضد جلس صلاح الدين للعزاء، واستولى على قصره وعلى جميع ما فيه، وكان قد رتب فيه قبل وفاة العاضد بهاء الدين قراقوش، وهو خصي، لحفظه، فحفظ ما فيه حتى تسلمه صلاح الدين، ونقل أهل العاضد إلى مكان منفرد، ووكل بحفظهم، وجعل أولاده وعمومته وأبناءهم في الإيوان في القصر، وجعل عندهم من يحفظهم، وأخرج من كان بالقصر من العبيد والإماء، فأعتق البعض، ووهب البعض، وباع البعض، وأخلى القصر من أهله وسكانه، فسبحان من لا يزول ملكه ولا يغيره ممر الأيام وتعاقب الدهور"[٢٤].

ولم يكتف الأمير بهاء الدين قراقوش بكل ما سبق، بل عمد إلى بيع كل ما وجده من كتب في القصر، وقد أفرد العماد الأصفهاني فصلًا في ذلك، قال في جزء منه:" وكان لبيع الكتب في القصر كل أسبوع يومان، وهي تباع بأرخص الأثمان، وخزائنها في القصر مرتبة البيوت، مقسمة الرفوف، مفهرسة بالمعروف، فقيل للأمير بهاء الدين قراقوش متولي القصر، والحال والعاقد

للأمر، هذه الكتب قد عاث فيها العث، وتساوى سمينها والغث، ولا غنى عن تهويتها، ونفضها، وإخراجها من بيوت الخزانة إلى أرضها، وهو تركي لا خبرة له بالكتب، ولا دربة له بأسفار الأدب، وكان مقصود دَلَّالي الكتب أن يوكسوها [٢٥]، ويخرموها ويعكسوها، فأُخْرِجَتْ وهي أكثر من مئة ألف من أماكنها، وغُرِّبَتْ من مساكنها، وخربت أوكارها، وأذهبت أنوارها، وشتت شملها، وبَتَّ حبلها، واختلط أدبيها بنجوميها، وشرعيها بمنطقيها، وطبيها بهندسيها، وتواريخها بتفاسيرها، ومجاهيلها بمشاهيرها"[٢٦].

وفي معرض تحديده الوسائل التي اتخذها السلطان صلاح الدين للقضاء على المذهب الفاطمي وتراثه في مصر يحدد المؤرخ علي الصلابي في كتابه عشرة وسائل لذلك، منها إتلاف وحرق الكتب، حيث يقول:" عمد السلطان صلاح الدين إلى الآلات المملوكية الفاطمية، وكنوز القصر الفاطمي، فعمل على إفسادها وأهدى بعضها إلى نور الدين زنكي، والبعض الآخر إلى الخليفة العباسي، ثم طرح باقيها للبيع؛ بحيث قام البيع فيها مدة عشر سنين، وانتقلت إلى البلاد بأيدي المسافرين الواردين والصادرين، وتحول إلى كتب الدعوة الإسماعيلية التي احتوت عليها مكتبة القصر الفاطمي، فأحرقها وألقاها على جبل المقطم، ثم فرق الكتب غير المذهبية التي صودرت من مكتبة القصر على كبار علماء وأنصار دولته، مثل: العماد الأصفهاني، والقاضي الفاضل، وأبي شامة الأصفهاني"[٢٧].

المبحث الثاني

جهود بهاء الدين قراقوش في بناء قلعة الجبل والدفاع عن مدينة عكا

تطلع السلطان صلاح الدين بعد التخلص من معارضيه، وخصوصًا من بقايا النظام الفاطمي، إلى بناء مؤسسات الدولة الأيوبية، وقد بدأها ببناء قلعة الجبل، كمقر للجيوش الأيوبية، ولأركان الحكم الأيوبي، وقد تولى الأمير قراقوش عملية البناء، ولقد ظلت هذه القلعة حتى منتصف القرن العشرين مقرًا للسلاطين والملوك الذين تناوبوا على حكم مصر، ولقد ختم الأمير حياته مجاهدًا للحملة الصليبية الثالثة على مدينة عكا[٢٨]، على الرغم من أنه قد بلغ من العمر خمسًا وسبعين سنة.

أولًا: بهاء الدين قراقوش وبناء قلعة الجيل:

أمر السلطان صلاح الدين الأيوبي في سنة (٥٦٩هـ/١١٧٤م) بعمارة قلعة الجبل، في الوسط عند مسجد سعد الدولة على جبل المقطم، والسور الدائر على القاهرة ومصر، وجعل مبدأه من شاطئ النيل إلى شاطئه، فكان دور السور على القاهرة ومصر والقلعة تسعة وعشرين ألف ذراع[٢٩]، وثلاثمائة ذراع وذراعين، من ذلك ما بين قلعة المقسم والبرج بالكوم الأحمر بساحل مصر عشرة آلاف ذراع وخمسمائة ذراع، ومن القلعة بالمقسم إلى حائط قلعة الجبل ثمانية آلاف ذراع وثلاثمائة واثنان وتسعون ذراعًا، ومن حائط قلعة الجبل إلى البرج بالكوم الأحمر سبعة آلاف ومائتا ذراع، ودائر قلعة الجبل ثلاثة آلاف ومائتا ذراع عشرة أذرع، كل ذلك بالذراع الهاشمي[٣٠]، وتولى عمارة ذلك الأمير بهاء الدين قراقوش الأسدي، وحفر في رأس الجبل بئرًا يتوصل إلى مائها

المعين من درج منحوتة من الجبل[٣١]، وتوفي الملك الناصر صلاح الدين الأيوبي (٥٨٩هـ/١١٩٣م) قبل أن تكمل عمارته[٣٢]، ثم كَمُلت في أيام حكم الملك العادل أبو بكر(٥٩٦-٦١٥هـ/١٢٠٠-١٢١٩م)، ونقل أولاد العاضد من القصر إلى قلعة الجبل، وبنى لهم بها مكانًا اعتقلوا فيه، فكانوا فيه إلى سنة (٦٧١هـ/١٢٧٣م)[٣٣]، وكان أول من سكن قلعة الجبل من الملوك الأيوبيين، الملك الكامل ناصر الدين محمد ابن السلطان الملك العادل، وذلك في سنة (٦٠٤هـ/١٢٠٨م)، وهو إذ ذاك ينوب عن والده بالديار المصرية[٣٤].

ويعلل أبو شامة بناء القلعة والسور من قبل السلطان صلاح الدين بقوله:" وكان السلطان لما تملَّك مصر رأى أن مصر والقاهرة لكل واحد منهما سور، لا يمنعها فقال: إن أفردت كل واحدة بسور احتاجت إلى جند كبير يحميها، وإني أرى أن أدير عليهما سورًا واحدًا من الشاطئ إلى الشاطئ"[٣٥].

وهناك نقش تذكاري على الباب الموجود في الجدار الغربي من قلعة الجبل يُخلّدُ هذا العمل، حيث توجد اللوحة التأسيسية أعلى باب القلعة الرئيس، والذي عرف بالباب المدرج، والمؤرخة بتاريخ(٥٩٧هـ/١١٨٣م)، نصها:" بسم الله الرحمن الرحيم، أمر بإنشاء هذه القلعة الباهرة المجاورة لمحروسة القاهرة، التي جمعت نفعًا وتحسيناً وسعة على من التجأ إلى ظل ملكه وتحصينًا، مولانا صلاح الدنيا والدين أبو المظفر يوسف بن أيوب محيي دولة أمير المؤمنين، على يد أمير مملكته، ومعين دولته قراقوش بن عبد الله المالكي الناصري في سنة (٥٧٩هـ/١١٨٣م)[٣٦].

وقام الأمير بهاء الدين قراقوش فضلًا عن بناء قلعة الجبل، والسور حول مدينة لقاهرة، ببناء خان السبيل، وأرصده لأبناء السبيل[٣٧]، وقناطر نهيا من الجيزة[٣٨].

ويستدل من شروع السلطان صلاح الدين في إعطاء الأوامر للأمير بهاء الدين قراقوش ببناء قلعة الجبل بعد أربعة سنوات فقط من توليه حكم مصر، رغبة السلطان في وضع اللبنات الأولى للدولة الأيوبية في مصر، وأن تكون أولى هذه اللبنات قلعة الجبل، كمقر للقوات المسلحة الأيوبية، التي انطلقت لتوحيد مصر وبلاد الشام، ومواجهة الاحتلال الصليبي للمنطقة العربية، والذي بدأ باحتلال مدينة القدس سنة(٤٩٢هـ/١٠٩٩م).

ثانيًا: بهاء الدين قراقوش والدفاع عن مدينة عكا في وجه الحملة الصليبية الثالثة:

وصل السلطان صلاح الدين الأيوبي إلى مدينة عكا في (محرم ٥٨٥هـ/ مارس ١١٨٩م)، فأقام بها، ورتب بها بهاء الدين قراقوش واليًا عليها، وأمره بعمارة السور الخاص بالمدينة، والإطناب فيه[٣٩]، وهو ما أكد عليه أبو شامة بقوله:" وكان جماعة من أهل الحزم وأولي العزم، قد أشاروا على السلطان لما فتح عكا، بتخريبها وتعفية آثارها، وأن يبقى المرابطون المحامون مكانها، فلا نأمن عودة الفرنج إليها وتملكها، وأن تبنى قلعة القيمون؛ فكاد يجيب، فقيل له هذه مدينة كبيرة، وعمارة كثيرة، فأشير عليه بتبقيتها، وأن تُعمَّرَ وَتُحَصَّنَ، فولى أمر عمارتها وتدبيرها الأمير بهاء الدين قراقوش، وهو الذي أدار السور على مصر والقاهرة، فاستدعاه من مصر، وأمره أن يستتيب في تلك العمارة، فقدم عليه وهو بكوكب، ففوض إليه عمارة عكا، فشرع في تجديد سورها وتعلية

أبراجها، وكان قدم من مصر ومعه أُسَارى العمل، وأنفاره وآلاته ودوابه وأبقاره"[٤٠].

وكانت المدينة في (رجب٥٨٥هـ/أغسطس ١١٨٩م) قد تعرضت للحصار من قِبَل الصليبيين، وقاموا برميها بالمنجنيقات[٤١] ليلًا ونهارًا، وأمام هذا الواقع الصعب الذي مرت به المدينة، كان الرأي هو أن يخرج الفارس والراجل لمهاجمة الصليبيين لفك الحصار المفروض على المدينة، وهو ما تحقق بالفعل، وجاء على ذكره ابن شداد بقوله:" ولما رأى أهل البلد ما نزل بهم من مضايقة العدو، وتعلق طمعهم بهم، حركتهم النخوة الإسلامية، وكان مقدموه حينئذ، أما والي البلد وحارسه فالأمير الكبير بهاء الدين قراقوش، وأما مقدم العسكر فالأمير الكبير الأسفهلار[٤٢] حسام الدين أبو الهيجاء، وكان رجلًا ذا كرم وشجاعة وتقدم في عشيرته ومضاء في عزيمته، فاجتمع رأيهم على أنهم يخرجون إلى العدو فارسهم وراجلهم على غرة وغفلة منهم، ففعلوا ذلك، وفتحت الأبواب، وخرجوا دفعة واحدة من كل جانب، ولم يشعر العدو إلا والسيف فيهم حاكم عادل، وسهم قدر الله وقضائه فيهم نافذ نازل، وهجم الإسلام على الكفر في منازله، وأخذ بناصية مناضله ورأس مقاتله، ولما ولج المسلمون لخيام العدو، ذهلوا عن المنجنيقات وحياطتها وحراستها[٤٣].

ولكن في (٥٨٧هـ/١١٩١م) وصل إلى المشرق الإسلامي أعظم ملوك أوروبا في ذلك الحين، وهم ثلاثة: ملك ألمانيا فردريك باربروسا (**Friedrich Barbarossa**)، وملك فرنسا الملك فيليب أغسطس (**Philippe Auguste**)، وملك إنكلترا ريكاردس الأول الملقب ريتشارد قلب الأسد(**Richard I the Lionheart**)، الذين سلكوا طريق البحر إلى عكا،

ولا شك أنه كان لوصولهم أثره البالغ في رفع الروح المعنوية للصليبيين، وفي المقابل ازداد موقف الحامية الإسلامية في المدينة سوءًا أمام ضغط تلك الجموع الهائلة من الصليبيين التي شدَّدت من حصارها على المدينة وكثفت هجماتها عليها[٤٤].

ويعلل فيليب حتى دوافع الحملة الصليبية الثالثة على بلاد الشام، بقوله:" إن خروج المدينة المقدسة(القدس) من يد الصليبيين أثار أوروبا، ودفعها إلى إعداد حملة صليبية ثالثة"[٤٥].

وذكر ابن شداد بشيء من التفصيل الوضع الذي كانت عليه المدينة تحت الحصار الصليبي، بقوله:" ولم يزالوا يوالون على الأسوار بالمنجنيقات المتواصلة والضرب، وتنقلوا أحجارها، حتى خلخلوا سور البلد وأضعفوا بنيانه، وأنهك التعب والسهر أهل البلد، لقلة عددهم وكثرة الأعمال، حتى أن جماعة منهم بقوا ليالي لا ينامون أصلًا لا ليلًا ولا نهارًا، والخلق الذين عليهم عدد كثير يتناوبون على قتالهم، وهم نفر يسير، قد تَقَسَّمُوا على الأسوار والخنادق والمنجنيقات والسفن، ولما أحس العدو بذلك، وظهر لهم تخلخل السور وتقلقل بنيانه، شرعوا في الزحف من كل جانب، وانقسموا أقسامًا، وتناوبوا فرقًا، كلما تعب قسم استراح وقام غيره مقامه، وشرعوا في ذلك شروعًا عظيمًا براجلهم وفارسهم، هذا مع عمارتهم أسوارهم الدائرة على خنادقهم، بالرجالة والمقاتلة ليلًا ونهارًا"[٤٦].

ويضيف ابن شداد:" لما كان سَحَرُ تلك الليلة(٧ جمادى الآخرة ٥٨٧هـ/٢ تموز ١١٩١م)، وصلت مطالعة عن البلد يقولون فيها: أنا قد بلغ منا العجز إلى غاية ما بعدها إلا التسليم، ونحن في الغد إن لم تعملوا شيئًا

نطلب الأمان، ونسلم البلد، ونشتري مجرد رقابنا، وكان هذا أعظم خبر ورد على المسلمين، وأنكى في قلوبهم، فإن عكا كانت قد احتوت على جميع سلاح الساحل والقدس ودمشق وحلب ومصر وجميع البلاد الإسلامية، واحتوت على كبار من أمراء العسكر وشجعان الإسلام، كسيف الدين المشطوب، وبهاء الدين قراقوش وغيرهما، وكان قراقوش ملتزمًا بحراستها منذ نزل العدو عليها"[٤٧].

ووصل في (١٢ جمادى الآخرة ٥٨٧هـ/٧ تموز ١١٩١م) أحد العوَّامين، يحمل آخر استغاثة من المدينة، إذ لن تستطيع الحامية أن تمضي في صمودها ما لم تصل إليها المساعدة، وما دار من قتال في (١٦ جمادى الآخرة ٥٨٧هـ/١١ تموز ١١٩١م)، يُعدُّ آخر ما بذله المسلمون من جهد حيث عرضوا التسليم في اليوم التالي، وكان أن تدخل ملك مملكة بيت المقدس كونراد دي مونتفيرات(**Corrado di Monferrato**)، وعقد اتفاقية مع حامية عكا، دون موافقة السلطان صلاح الدين، تضمنت ما يلي[٤٨]:

١- استسلام عكا بكل ما تحويه من سفن ومستودعات وذخيرة.

٢- يؤدي المسلمون للصليبيين فدية مقدارها مائتي ألف دينار.

٣- يطلق المسلمون سراح ألف وخمسمائة أسير صليبي، فضلًا عن مائة معيَّنين من جانبهم.

٤- يرد المسلمون صليب الصلبوت إلى الصليبيين.

٥- يخرج المسلمون من المدينة سالمين.

وعندما اطلع السلطان صلاح الدين على فحوى الاتفاق، رفضه بشدة، وعظم عليه الأمر، فاجتمع مع أركان حربه للتشاور وتقييم الوضع، وفي الوقت الذي كان يعدُّ فيه الجواب للحامية، فوجئ بألوية الصليبيين ترفرف فوق أبراج

عكا، وكان ذلك يوم الجمعة(١٧ جمادى الآخرة ٥٨٧هـ/١٢ تموز ١١٩١م)[٤٩].

ولقد وقع بهاء الدين قراقوش أسيرًا بعد الاستيلاء على المدينة، وهو ما ذكره ابن خلكان، بقوله:" لما أخذ صلاح الدين مدينة عكا من الفرنج سلمها إليه، ثم لما عادوا واستولوا عليها أصبح أسيرًا في أيديهم، ويقال إنه افتك نفسه بعشرة آلاف دينار، وذكر شيخنا القاضي بهاء الدين بن شداد في سيرة صلاح الدين إنه انفك من الأسر في يوم الثلاثاء (١١ شوال ٥٨٨هـ/ ٢١ اكتوبر ١١٩٢م)، وَمَثَل في الخدمة الشريفة السلطانية، ففرح به فرحًا شديدًا، وكان له حقوق كثيرة على السلطان وعلى الإسلام والمسلمين، واستأذن في المسير إلى دمشق؛ ليُحَصّل مال القطيعة[٥٠]، فأذن له في ذلك، وكان على ما ذكر ثلاثين ألفًا"[٥١].

ويجمل ابن العبري في كتابه تاريخ مختصر الدول ما جرى في مدينة عكا من حصار الفرنج لها، وتسليم المدينة من قبل سيف الدين المشطوب بعدما اشتد بهم الحصار، بقوله:" كان صلاح الدين على شفرعم[٥٢] فكان يركب كل يوم و يقصد الفرنج؛ ليشغلهم بالقتال على مزاحفة البلد، وكان فيه الأمير سيف الدين الهكاري المعروف بالمشطوب، فلما رأى أن صلاح الدين لا يقدر لهم على نفعٍ و لا يدفع عنهم ضرًا، خرج إلى الفرنج، و قرر معهم تسليم البلد، وخرج من فيه بأموالهم، وبذل لهم عن ذلك مائتي ألف دينار، وخمسمائة أسير من المعروفين، وإعادة صليب الصلبوت، وأربعة عشر ألف دينار للمركيس صاحب صور، فأجابوه إلى ذلك، وأن تكون مدة تحصيل المال والأسراء إلى شهرين[٥٣].

ويضيف ابن العبري القول:" فلما حلفوا له سلم البلد إليهم، فدخله الفرنج سلمًا، واحتاطوا على من فيه من المسلمين وعلى أموالهم، وحبسوهم إلى حين ما يصل إليهم ما بذل لهم، و راسلوا صلاح الدين في إرسال المال والأسرى والصليب حتى يطلقوا من عندهم، فشرعوا في جمع المال، وكان هو لا مال له، إنما يخرج ما يصل إليه من دخل البلاد أولًا بأول، فلما اجتمع عنده من المال مائة ألف دينار، أشار الأمراء بأن لا يرسل شيئًا حتى يعاود يستحلفهم على الإطلاق من أصحابه، فقال ملوك الفرنج: نحن لا نحلف، إنما ترسل إلينا المائة الألف دينارًا التي حصلت، والأسارى، والصليب، ونحن نطلق من نريد ونترك من نريد، حتى يجيء باقي المال فنطلق الباقين منهم، فلم يجبهم السلطان إلى ذلك، فلما كان يوم الثلاثاء (٢٧ رجب٥٨٧هـ/ 21 أغسطس ١١٩١م)، ركب الفرنج، وخرجوا ظاهر البلد بالفارس والراجل، وركب المسلمون إليهم وحملوا عليهم، فانكشفوا عن موقفهم، وإذا أكثر من كان عندهم من المسلمين قتلى، قد وضعوا فيهم السيف وقتلوهم، واستبقوا الأمراء، ومن كان له مال، وقتلوا من سواهم من سوادهم وأصحابهم، ومن لا مال له"[٥٤].

ثالثًا: وفاة الأمير بهاء الدين قراقوش:

في مستهل شهر (رجب ٥٩٧هـ/ أبريل١٢٠١م) توفي الأمير بهاء الدين قراقوش بالقاهرة[٥٥]، وله من العمر ثمان وثمانون سنة، ودفن في تربته المعروفة به بسفح المقطم بقرب البئر والحوض اللذين أنشأهما على شفير الخندق رحمه الله تعالى، وهو من القدماء الكرماء وشيوخ الدولة الكبراء، أمير الأسدية ومقدمها وكريمها ومكرمها، ولم أر غيره خصيًا لم تقاومه الفحول، ولم تؤثر في محال مأثراته المحول، وله في الغزوات والفتوحات مواقف معروفة

ومقامات موصوفة، وهو الذي احتاط على القصر حين استتبت على متوليه أسباب النصر، وذلك قبل موت العاضد بمدة، ولما خطب لبني العباس بالديار المصرية تسلم القصر بما فيه واستظهر على أقارب العاضد وبنيه، وتولى عمارة الأسوار المحيطة بمصر والقاهرة وأتى فيها بالعجائب الظاهرة، وكان معاذ الالتجاء وملاذ الارتجاء، غير أنه نسب إلى اللجاج لشدة ثباته وفرط جموده، ولا يكاد يعجم لصلابة عوده، ولما توفي تسلم السلطان داره بما حوته من الذخائر، وصارت إقطاعاته للملك الكامل[٥٦].

الخاتمة، وتتضمن أهم النتائج والتوصيات

خلص البحث إلى مجموعة من النتائج والتوصيات المهمة، وهي كالتالي:

أولًا: النتائج:

- الأمير بهاء الدين قراقوش هو واحد من ثلاثة أمراء أقوياء كان لهم الفضل في تثبيت أركان حكم السلطان صلاح الدين في مصر وبلاد الشام، وخصوصًا في الفترة الأولى من الحكم، التي أعقبت الإطاحة بالحكم الفاطمي في مصر.
- يعود الفضل للأمير بهاء الدين قراقوش في السيطرة على حالة الفوضى التي عمت مصر، بعد موت الخليفة العاضد، ومحاولة البعض الانقلاب على السلطان صلاح الدين.

- يسجل للأمير بهاء الدين قراقوش حنكته السياسية في كسب الأمراء الكبار إلى جانب السلطان صلاح الدين والموافقة على تنصيبه في منصب الوزارة، والتخلص بهدوء من أسرة الخليفة الفاطمي العاضد.
- تعتبر قلعة الجبل، والتي تولى الأمير قراقوش بنائها، أهم القلاع العسكرية في مصر، حيث ظلت إلى منتصف القرن العشرين مقرًا للسلطان الحاكم في مصر.
- يعود الفضل للأمير بهاء الدين قراقوش في الدفاع عن مدينة عكا في وجه الحملة الصليبية الثالثة، ولعل وقوعه في الأسر، واشتراط الصليبيين مبلغًا كبيرًا لإطلاق سراحه، دليل آخر على أهمية الأمير بهاء الدين قراقوش.
- لا صحة للتهم التي جاءت في كتاب "الفاشوش في حكم قراقوش" لابن مماتي، للأمير بهاء الدين قراقوش، وذلك لأنها تتعارض مع تاريخ الرجل، ووقوفه إلى جانب السلطان صلاح الدين طوال فتره حكمه، التي استمرت لما يقرب من أربع وعشرين سنة.

ثانيًا: التوصيات:

١. ضرورة أن يحسن الحكام المسلمون اختيار الشخصيات المقربة منهم، كما أحسن السلطان صلاح الدين اختيار الأمير بهاء الدين قراقوش، وغيره من كبار الأمراء، ليكونوا عونًا له في إقامة الدولة الأيوبية، والدفاع عنها في وجه الأخطار الخارجية.

٢. أهمية الاستعانة بكبار السن، من أصحاب الخبرة الطويلة، في المواقف الحساسة، والدقيقة، وخصوصًا في مرحلة التخلص من الخصوم السياسيين، وبناء مؤسسات الدولة الجديدة، ومواجهة الأخطار الخارجية العظيمة.

٣. التخلص من بقايا النظام السابق، وذلك بالقوة مع مَنْ حمل السلاح ونادى بالفوضى، وباللين مع من لم يحمل السلاح؛ وذلك لقطع الطريق على الفريقين من مجرد التفكير في العودة للحكم مرة ثانية.

٤. بذل الغالي والنفيس في إطلاق سراح الأسرى القادة من سجون الاحتلال، ولعل بذل السلطان صلاح الدين لثمانين ألف دينار، لإطلاق سراح الأمير بهاء الدين قراقوش من الأسر الصليبي، هو أبلغ رسالة في بذل الغالي والنفيس من أجل تحرير الأسرى المسلمين.

٥. إعداد المزيد من الأبحاث " المحكمة"، التي تتناول دور الأمراء الكبار في تثبيت أركان حكم السلطان صلاح الدين الأيوبي، وذلك للاستفادة من الخبرات الأمنية والعسكرية والسياسية لهؤلاء الأمراء، في القضاء على الدسائس والمؤامرات الداخلية والخارجية، التي حاولت الانقلاب على السلطان صلاح الدين الأيوبي في مصر.

الهوامش:

(١) علي الصلابي، صلاح الدين الأيوبي، ص ٣٥٣؛ خير الدين الزركلي، الأعلام، ج٥، ص١٩٣.

(٢) زمام، مسير الأمر.(ابن منظور، لسلن العرب، ج١٢، ص٢٧٢).

(٣) المقس، ناحية بين يدي القاهرة على النيل، وكان قبل الإسلام يسمى أم دنين، وكان فيه حصن ومدينة قبل بناء الفسطاط، وحاصرها عمرو بن العاص، وقاتله أهلها قتالًا شديدًا حتى افتتحها.(الحموي، معجم البلدان، ج٥، ص١٧٥).

(٤) ابن خلكان، وفيات الأعيان، ج٤، ص٩١.

(٥) ابن الأثير، الكامل، ج١٠، ص١٩.

(٦) ابن شداد، النوادر السلطانية، ج١، ص١٧٢.

(٧) أبو شامة، الروضتين، ج٢، ص٤٤٥.

(٨) ابن خلكان، مصدر سبق ذكره، ج٤، ص٩٢.

(٩) الأسعد بن مماتي، أبو المكارم، أسعد بن الخطير، أبي سعيد مهذب بن مينا بن زكريا الأسعد بن مماتي، بن أبي قدامة، ابن أبي مليح المصري، الكاتب الشاعر، أسلم في الدولة الصلاحية، وتولى نظر الدواوين بمصر مدة، قال ابن خلكان: " وله فضائل عديدة، ومصنفات كثيرة، ونظم سيرة صلاح الدين، وكليلة ودمنة، وله ديوان شعر، ولما تولى الوزير ابن شكر، هرب منه إلى حلب، فمات بها، وله ثنتان وستون سنة".(ابن كثير، البداية والنهاية، ج١٣، ص٥٣).

(١٠) ابن خلكان، وفيات الأعيان، ج٤، ص٩٢؛ النويري، نهاية الأرب، ج٢٩، ص١٧؛ لطفي عثمان ملحس، رجل النوادر بين الحقيقة والأسطورة، ص١٠٠-١٠١.

(١١) فاروق سعيد، قراقوش ونوادره، ص٦٨.

(١٢) عبد اللطيف حمزة، حكم قراقوش، ص١٠.

(١٣) علي الصلابي، صلاح الدين الأيوبي، ص٣٥٧.

(١٤) علي الطنطاوي، رجال من التاريخ، ص٣١١.

(١٥) فاروق سعد، قراقوش ونوادره، ص٣٥-٣٦.

(١٦) عيسى الهكاري، أحد الأمراء بالدولة الصلاحية، كبير القدر، وافر الحرمة، معولًا عليه في الآراء والمشورات، وكان في مبدأ أمره يشتغل في الفقه بالمدرسة الزجاجية بمدينة حلب، فاتصل بالأمير أسد الدين شيركوه عم السلطان صلاح الدين، وصار إمامه يصلي به الفرائض الخمس، ولما توجه أسد الدين إلى الديار المصرية وتولى الوزارة كان في صحبته، وقد توفي في (٩ ذي القعدة ٥٨٥هـ/ ٢٠ سبتمبر ١١٨٩م) بمنزلة الخروبة مع السلطان صلاح الدين، ثم نقل إلى القدس، ودفن بظاهرها.(ابن الأثير، الكامل، ج١٠، ص٨٦؛ ابن خلكان، وفيات الأعيان، ج٣، ص٤٩٧).

(١٧) الطواشي، المماليك الخصيان المعينون لخدمة بيوت السلطان وحريمه.(محمد دهمان، معجم الألفاظ التاريخية، ص١٠٩).

(١٨) العاضد، الخليفة الحادي عشر من خلفاء بني عبيد بمصر، والرابع عشر بالثلاثة الذين ولوا بالمغرب المهدي والقائم والمنصور، ولد عام (٥٤٥هـ/١١٥٠م)، وقيل عام (٥٤٠هـ/١١٤٥م)، وبويع في رجب بعد موت ابن عمه الفائز بنصر الله سنة (٥٥٥هـ/١١٦٠م)، وهو ابن ١١ سنة وشهور، وتوفى العاضد يوم عاشوراء (١١ محرم ٥٦٧هـ/٢٤ سبتمبر ١١٧١م)، وعمره ٢٣ سنة، فكانت أيامه في الخلافة ١١ سنة، واختلفوا في سبب وفاته على أقوال: أحدها أنه تفكر في أموره فرآها في إدبار، فأصابه جرح عظيم فمات منه، والثاني إنه لما خطب لبني العباس بلغه فاغتم ومات، وقيل إن أهله أخفوا عنه ذلك، وقالوا إن سلم فهو يعلم، وإن مات فلا ينبغي أن ننغص عليه هذه الأيام التي بقيت من عمره، والثالث أنه لما أيقن بزوال دولته كان في يده خاتم له فص مسموم فمصه فمات منه، وجلس صلاح الدين في عزائه، ومشى في جنازته، وتولى غسله وتكفينه ودفنه عند أهله، واستولى السلطان صلاح الدين على ما في القصر من الأموال والذخائر والتحف والجواهر والعبيد والخدم والخيل والمتاع وغيره.(للمزيد ينظر ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج٥، ص٣٣٤-٣٣٥).

(١٩) للمزيد ينظر ابن العديم، زبدة الحلب، ج١، ص٣٥١.

(٢٠) عصام شبارو، السلاطين في المشرق العربي، ص١٣٩.

(٢١) عصام شبارو، المرجع السابق، ص١٤٠.

(٢٢) مؤتمن الخلافة، خصي، ومن أكابر خدام القصر في عهد الخليفة الفاطمي العاضد.(للمزيد ينظر ابن الأثير، الكامل، ج١٠، ص١٨؛ أبو شامة، الروضتين، ج٢، ص١٣٠).

(٢٣) ابن الأثير، المصدر السابق، ج١٠، ص١٨؛ أبو الفداء، المختصر ، ج١، ص٣٤٣.

(٢٤) أبو شامة، الروضتين، ج٢، ص١٩١.

(٢٥) وكس، الوكس: النقص، وقد وكس الشيء: نكس.(ابن منظور، لسان العرب، ج٦، ص٢٥٧).

(٢٦) نقلا عن أبي شامة، مصدر سبق ذكره، ج٢، ص٤٤٤- ٤٤٥.

(٢٧) علي الصلابي، عصر الدولة الزنكية، ص٥٦١.

(٢٨) عكا، مدينة فلسطينية عريقة، تقع على ساحل البحر الأبيض المتوسط.(الحموي، معجم البلدان، ج٤، ص١٤١).

(٢٩) الذراع، الذراع مؤنثة، وجمعها أذرع لا غير، وإنما قالوا ثمانية لأن الأشبار مذكرة.(الرازي، مختار الصحاح، ج١، ص٩٣).

(٣٠) الذراع الهاشمي، طول الذراع الهاشمي ٦١,٦سم.(محمد حلاق، الايضاحات العصرية، ص٥٤).

(٣١) العماد الأصفهاني، البرق الشامي، ج٣، ص٩٨؛ الذهبي، العبر، ج٤، ص٢١٤.

(٣٢) النويري، نهاية الأرب، ج٢٨، ص٢٤٢؛ الذهبي، تاريخ الإسلام، ج٤٢، ٣١٢.

(٣٣) النويري، المصدر السابق، ج٢٩، ص٢٤.

(٣٤) النويري، المصدر السابق، ج٢٩، ص٢٤.

(٣٥) للمزيد ينظر أبو شامة، الروضتين، ج٢، ص٤٤٤.

(36) Wiel G , Combe E et Sauvage J , Répertoire chronologique d'Epigraphie Arabe , Le caire, 1931-1944.

(٣٧) ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج٤، ص٤٦.
(٣٨) ابن خلكان، وفيات الأعيان، ج٤، ص٩١؛ النويري، مصدر سبق ذكره، ج٢٩، ص١٧.
(٣٩) ابن شداد، النوادر السلطانية، ج١، ص١٨.
(٤٠) أبو شامة، الروضتين، ج٤، ص١٠.
(٤١) المنجنيق، آلة قديمة من آلات الحصار، كانت ترمى بها حجارة ثقيلة على الأسوار فتهدمها.(ابراهيم مصطفى، المعجم الوسيط، ج٢، ص٨٥٥).
(٤٢) الأسفهلار، وظيفة من وظائف أرباب السيوف وعامة الجند، وإلى صاحبها يرجع أمر الأجناد، واللفظة أعجمية، تعريبها قائد الجيوش.(محمد دهمان، معجم الألفاظ التاريخية، ص١٦).
(٤٣) ابن شداد، النواد السلطانية، ج١، ص١٣٤.
(٤٤) علي الصلابي، صلاح الدين الأيوبي، ص ٥٩٢؛ عبد الرحمن عزام، صلاح الدين، ص٢٢٨؛ سامي أبو زهري، صلاح الدين الأيوبي، ٤٢٩.
(٤٥) فيليب حتى، تاريخ سورية ولبنان وفلسطين، ٢٣٨-٢٣٩.
(٤٦) للمزيد ينظر ابن شداد، النوادر السلطانية، ج١، ص١٦٧.
(٤٧) ابن شداد، المصدر السابق، ج١، ص١٦٧.
(٤٨) مصطفى الحياري، صلاح الدين، ٤٠٥؛ محمد سهيل طقوش، تاريخ الأيوبيين، ص١٨٦.
(٤٩) للمزيد حول حصار مدينة عكا ينظر محمد سهيل طقوش، تاريخ الأيوبيين، ص١٨٦.
(٥٠) القطيعة، لها أكثر من معنى، فقد يقصد بها ما يفرض من المال على بلد أو إقليم للاتفاق على الاستعدادات الحربية الدفاعية، كالغرامة الحربية، ويقصد بها أيضًا فئة من الجنود يتراوح عددهم بين (١٠٠-١٠٠٠) جندي، والجمع قطائع.(محمد دهمان، معجم الألفاظ التاريخية، ص١٢٤).
(٥١) ابن خلكان، وفيات الأعيان، ج٤، ص٩٢.

(٥٢) شفرعم، بفتح أوله، وسكون ثانيه، وفتح الراء، ثم عين مهملة مفتوحة، وميم مشددة، قرية كبيرة بينها وبين عكا بساحل الشام ثلاثة أميال، بها كان منزل صلاح الدين يوسف بن أيوب على عكا؛ لمحاربة الفرنج الذين نزلوا على عكا وحاصروها.(الحموي، معجم البلدان، ج٣، ص٣٥٣).

(٥٣) ابن العبري، تاريخ مختصر الدول، ج١، ص١٣٥.

(٥٤) ابن العبري، المصدر السابق، ج١، ص١٣٥.

(٥٥) ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج٦، ص١٧٦.

(٥٦) أبو شامة، الروضتين، ج٤، ص٤٨٤؛ النويري، نهاية الأرب، ج٢٩، ص١٧.

المصادر والمراجع

أولًا: المصادر:

١. **ابن الأثير، أبو الحسن علي بن أبي الكرم الشيباني.(ت:٦٣٠هـ/١٢٣٣م):**

٢. الكامل في التاريخ، ١١ج، تحقيق: عبد الله القاضي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط٢، (١٤١٥هـ/١٩٩٤م).

٣. **البكري، عبد الله بن عبد العزيز البكري الأندلسي (ت: ٤٨٧هـ/١٠٩٤م):**

٤. معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع، ٤ج، تحقيق: مصطفى السقا، عالم الكتب، بيروت، لبنان، ط٣، (١٤٠٣هـ/١٩٨٣م).

٥. **ابن تغري بردى، يوسف بن تغري بردى الأتابكي(ت: ٨٧٤هـ/١٤٦٩م):**

٦. النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، وزارة الثقافة والإرشاد القومي، القاهرة، مصر، د. ط، د. ت.

٧. **الحموي، ياقوت بن عبد الله الحموي أبو عبد الله(ت: ٦٢٦هـ/١٢٢٩م):**

٨. معجم البلدان، ٧ج، دار صادر، بيروت، لبنان، ط٢، (١٤١٥هـ/١٩٩٥م).

٩. **ابن خلكان، أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر(ت: ٦٨١هـ/١٢٨٢م):**

١٠. وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، ٨ج، تحقيق: إحسان عباس، دار الثقافة، بيروت، لبنان، د. ط، د. ت.

١١. **الذهبي، شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان(ت: ٧٤٨هـ/١٣٤٧م):**

١٢. العبر في خبر من غبر، ٥ج، تحقيق: صلاح الدين المنجد، الكويت، الكويت، ط٢، (١٤٠٤هـ/ ١٩٨٤م).

١٣. **الذهبي، شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان(ت: ٧٤٨هـ/١٣٤٧م):**

١٤. تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، ٥٢ج، تحقيق: عمر عبد السلام تدمري، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، ط١، (١٤٠٧هـ/١٩٨٧م).

١٥. **الرازي، محمد بن أبي بكر بن عبد القادر(ت: ٧٢١هـ/١٣٢١م):**

١٦. مختار الصحاح، ١ج، تحقيق: محمود خاطر، مكتبة لبنان ناشرون، بيروت، لبنان، ط١، (١٤١٥هـ/١٩٩٥م).

١٧. **أبو شامة، عبد الرحمن بن إسماعيل بن إبراهيم المقدسي(ت: ٦٦٥هـ/١٢٦٧م):**

١٨. الروضتين في أخبار الدولتين النورية والصلاحية، ٥ج، تحقيق: إبراهيم الزيبق، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، ط١، (١٤١٨هـ/١٩٩٧م).

١٩. ابن شداد، بهاء الدين أبو المحاسن يوسف بن رافع بن تميم(٦٣٢هـ/١٢٣٥م):

٢٠. النوادر السلطانية والمحاسن اليوسفية "سيرة صلاح الدين الأيوبي"، ١ج، تحقيق: جمال الدين الشيال، د. ن، د. م، د. ط، (١٣٨٣هـ/١٩٦٤م).

٢١. ابن العبري، غريغوريوس بن أهرون بن توما الملطي.(ت: ٦٨٥هـ/١٢٨٦م):

٢٢. تاريخ مختصر الدول، ١ج، تحقيق: أنطون صالحاني اليسوعي، دار الشرق، بيروت، لبنان، ط٣، (١٤١٣هـ/١٩٩٢م).

٢٣. ابن العديم، كمال الدين أبي القاسم عمر بن أحمد بن هبة الله(ت: ٦٦٠هـ/١٢٦٢م):

٢٤. زبدة الحلب من تاريخ حلب، ١ج، وضع حواشيه: خليل المنصور، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط١، (١٤١٧هـ/١٩٩٦م).

٢٥. العماد الأصفهاني، محمد بن محمد صفي الدين(...) حامد بن إله (ت: ٥٩٧هـ/١٢٠١م):

٢٦. البرق الشامي، ٥ج، تحقيق: فالح حسين، مؤسسة عبد الحميد شومان، عمان، الأردن، ط١، (١٤٠٧هـ/١٩٨٧م).

٢٧. أبو الفداء، عماد الدين إسماعيل بن علي(ت: ٧٣٢هـ/١٣٣٢م):

٢٨. المختصر في أخبار البشر، ٤ج، المطبعة الحسينية المصرية، القاهرة، مصر، ط١، د. ت.

٢٩. **ابن كثير: إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي أبو الفداء (ت: ٧٧٤هـ/١٣٤٣م):**

٣٠. البداية والنهاية، ١٤ج، تحقيق: علي شيري، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، ط١، (١٤٠٨هـ/١٩٨٨م).

٣١. **ابن منظور، محمد بن مكرم بن منظور الأفريقي المصري(ت: ٧١١هـ/١٣١١م):**

٣٢. لسان العرب، ١٥ج، دار صادر، بيروت، لبنان، ط٣، (١٤١٤هـ/١٩٩٣م).

٣٣. **النويري: شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب(ت: ٧٣٣هـ/١٣٣٣م):**

٣٤. نهاية الأرب في فنون الأدب، ٣٣ج، تحقيق: مفيد قمحية وجماعة، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط١، (١٤٢٤هـ/٢٠٠٤م).

ثانيًا: المراجع:

١. **إبراهيم مصطفى، وآخرون**، المعجم الوسيط، تحقيق: مجمع اللغة العربية، دار الدعوة، د. ط، د. ت.

٢. **خير الدين الزركلي**، الأعلام، قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، ط٥، (١٤٠٠هـ/١٩٨٠م).

٣. سهيل طقوش، تاريخ الأيوبيين في مصر وبلاد الشام وإقليم الجزيرة، دار النفائس، بيروت، لبنان، ط٢، (١٤٢٩هـ/٢٠٠٨م).
٤. **صفوان حسن**، تاريخ الأيوبيين والمماليك، دار الفكر، عمان، الأردن، ط١، (١٤٣١هـ/٢٠١٠م).
٥. **عبد الرحمن عزام**، صلاح الدين الأيوبي وإعادة إحياء المذهب السني، مؤسسة قطر، الدوحة، قطر، ط١، (١٤٣٣هـ/ ٢٠١٢م).
٦. **عبد اللطيف حمزة**، حكم قراقوش، مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، القاهرة، مصر، د. ط، (١٣٦٤هـ/١٩٤٥م).
٧. **عصام شبارو**، السلاطين في المشرق العربي، دار النهضة العربية للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ط١، (١٤١٥هـ/١٩٩٤م).
٨. **علي الطنطاوي**، رجال من التاريخ، دار المنارة للنشر والتوزيع، جدة، المملكة العربية السعودية، ط٧، (١٤٠٦هـ/١٩٨٦م).
٩. **علي الصلابي**، صلاح الدين الأيوبي وجهوده في القضاء على الدولة الفاطمية وتحرير بيت المقدس، دار التوزيع والنشر، القاهرة، مصر، ط١، (١٤٢٩هـ/٢٠٠٨م).
١٠. **علي الصلابي**، عصر الدولة الزنكية، دار ابن الجوزي، القاهرة، مصر، ط١، (١٤٢٨هـ/٢٠٠٧م).
١١. **فاروق سعد**، قراقوش ونوادره، دار الآفاق الجديدة، بيروت، لبنان، ط١، (١٤١٠هـ/١٩٩٠م).

١٢. **محمد حلاق**، الايضاحات العصرية للمقاييس والمكاييل والأوزان والنقود الشرعية، مكتبة الجيل الجديد، صنعاء، اليمن، ط١، (١٤٢٨هـ/٢٠٠٧م).
١٣. **محمد دهمان**، معجم الألفاظ التاريخية في العصر المملوكي، دار الفكر المعاصر، بيروت، لبنان، ط١، (١٤١٠هـ/١٩٩٠م).
١٤. **مصطفى الحياري**، صلاح الدين القائد وعصره، دار العرب الإسلامي، بيروت، لبنان، ط١، (١٤١٥هـ/١٩٩٤م).

ثالثًا: الدوريات:

١- **لطفي عثمان ملحس**، رجل النوادر بين الحقيقة والأسطورة، مجلة رسالة المعلم، المجلد (١١)، العدد (٣)، (١٣٨٨هـ/١٩٦٨م).

رابعا: المراجع المعربة:

١- **فيليب حتى، تاريخ سورية ولبنان وسورية**، ترجمة: كمال اليازجي، دار الثقافة، بيروت، لبنان، د. ط، د.ت.

خامسًا: المراجع الأجنبية:

1- **Wiel G , Combe E et Sauvage J** , Répertoire chronologique d'Epigraphie Arabe , Le caire 1931-1944.